تموز 2026 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 14
July 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 14
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الحركات الروحانية البديلة في المجتمعات العربية المعاصرة دراسة نقدية تحليلية في ضوء الثوابت العقدية الإسلامية

م.د. نور الهدى رشيد خليفة جاسم
جامعة سامراء/ كلية العلوم الإسلامية
noor.r.khalaifa@uosamarra.edu.iq

ملخص
يتناول هذا البحث الحركات الروحانية البديلة التي انتشرت في المجتمعات العربية المعاصرة، وما تطرحه من إشكالية الهوية الدينية بمفاهيم وممارسات روحية تستمد أفكارها من مصادر متنوعة، كالفلسفات الشرقية، وحركات العصر الجديد، ومعتقدات الطاقة والتأمل وقانون الجذب, وقد حظيت هذه التوجهات باهتمام متزايد في السنوات الأخيرة نتيجة التطورات التقنية والانفتاح الثقافي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي أسهمت في تسويقها وتوسيع دائرة تأثيرها, ويسعى البحث إلى التعريف بهذه الحركات وبيان أبرز أفكارها ومرتكزاتها الفكرية، مع تسليط الضوء على انعكاساتها على الهوية الدينية في المجتمعات العربية, كما يناقش العلاقة بين هذه التوجهات الروحانية وبين الثوابت العقدية الإسلامية، من خلال تحليل المضامين الفكرية التي تحملها ومقارنتها بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة, وتنبع أهمية هذا الموضوع من ارتباطه بالتحولات الفكرية والثقافية التي تشهدها المجتمعات العربية، وما تثيره هذه الحركات من تساؤلات حول المرجعيات الدينية ومصادر المعرفة الروحية، الأمر الذي يجعل دراستها ضرورة علمية لفهم طبيعتها وآثارها في الواقع المعاصر.
الكلمات المفتاحية: الحركات الروحانية البديلة، الهوية الدينية، العصر الجديد، الروحانية المعاصرة، العولمة الثقافية، نقد الفكر الروحاني.

Alternative spiritual movements in contemporary Arab societies and the problem of religious identity: A critical analytical study in light of Islamic doctrinal principles.

Dr. Noor Al-Huda Rashid Khalifa Jassim
Samarra University / College of Islamic Sciences

Abstract
This research examines alternative spiritual movements that have spread in contemporary Arab societies, and the spiritual concepts and practices they present, drawing their ideas from diverse sources such as Eastern philosophies, New Age movements, energy beliefs, meditation, and the law of attraction. These trends have gained increasing attention in recent years as a result of technological developments, cultural openness, and the spread of social media, which have contributed to their marketing and the expansion of their influence. The research seeks to define these movements and explain their most prominent ideas and intellectual foundations, while highlighting their repercussions on religious identity in Arab societies. It also discusses the relationship between these spiritual trends and the established tenets of Islamic doctrine, through analyzing the intellectual content they carry and comparing it with the Islamic conception of humanity, the universe, and life. The importance of this topic stems from its connection to the intellectual and cultural transformations that Arab societies are witnessing, and the questions that these movements raise about religious authorities and sources of spiritual knowledge, which makes studying them a scientific necessity to understand their nature and effects in contemporary reality.

Keywords: Alternative spiritual movements, religious identity, New Age, contemporary spirituality, cultural globalization, critique of spiritual thought

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإن الدراسة الأكاديمية الرصينة للتحولات الدينية المعاصرة لا تزال من أكثر الحقول المعرفية حاجةً إلى العناية والاهتمام في المكتبة العربية والإسلامية، إذ يبدو جلياً أن الأبحاث الشرعية التقليدية كثيراً ما تتعامل مع الظواهر الدينية الجديدة بأدوات كلاسيكية لم تُصمَّم أصلاً للتعامل مع طبيعة هذه الظواهر ومنطق اشتغالها, وتعد ظاهرة (الحركات الروحانية البديلة) من أبرز الإشكاليات الدينية المعاصرة التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، لا سيما في ظل الانفتاح الثقافي غير المسبوق الذي أتاحته ثورة الاتصالات الرقمية, فقد أصبح بمقدور أي شخص في أقصى بقاع العالم الإسلامي أن يتلقّى تعاليم حركات روحانية بعيدة عن تراثه الديني الأصيل دون أي رقابة علمية أو توجيه معرفي.

وتمتاز هذه الظاهرة بخصوصية تجعلها أشد خطراً من غيرها من التيارات الفكرية الوافدة: فهي لا تصادم الإسلام مصادمةً مباشرة كما تفعل التيارات الإلحادية أو العلمانية المتطرفة، بل تسعى إلى احتضانه وتوظيفه ضمن منظومة روحية تلفيقية، تذوب فيها حدود الهويات الدينية الصافية وتتحول إلى هويات هجينة تفقد الفرد انتماءه العقدي الأصيل دون أن يُدرك ذلك في الغالب.

ومن هذا المنطلق رأت الباحثة أن دراسة هذه الظاهرة نقدياً من منظور علم الأديان المقارن والعقيدة الإسلامية تُعدّ ضرورةً علميةً ملحّة، تتضافر فيها أسباب موضوعية عدة: أولها ندرة الدراسات الأكاديمية العربية التي تناولت هذه الحركات بمنهج نقدي رصين يجمع بين المعرفة الشرعية والأدوات المنهجية لعلم الأديان الحديث, وثانيها تنامي الحضور المتسارع لهذه الحركات في الفضاء الرقمي العربي بصورة لافتة وغير مسبوقة. وثالثها الحاجة الملحّة إلى إنتاج خطاب نقدي متخصص يُسلّح الباحثين والدعاة بأدوات معرفية كافية للتعامل مع هذه الظاهرة.

أولاً: إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من السؤال المحوري الآتي: ما طبيعة الحركات الروحانية البديلة المنتشرة في المجتمعات العربية المعاصرة، وكيف تُشكّل تهديداً على الهوية الدينية الإسلامية؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي جملة من التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بالحركات الروحانية البديلة، وما حدود هذا المصطلح في الأدبيات الأكاديمية؟
- ما أبرز أنواع هذه الحركات في السياق العربي ومؤشرات انتشارها؟
- ما العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية المحفّزة على الانتساب لهذه الحركات؟
- كيف تتعامل هذه الحركات مع المفاهيم العقدية الإسلامية كالتوحيد والنبوة والآخرة؟
- ما آليات تأثير هذه الحركات في منظومة الهوية الدينية الإسلامية؟
- ما الأطر النقدية التي تقدمها العقيدة الإسلامية لمواجهة هذه الحركات؟

ثانياً: أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث من زاويتين: النظرية والتطبيقية, أما الأهمية النظرية فتكمن في كونه يعالج ثغرة حقيقية في المكتبة الإسلامية، إذ لا تزال الأبحاث المتخصصة في الحركات الروحانية البديلة في السياق العربي شحيحةً إلى درجة لافتة، مقارنةً بما أنتجته الأوساط الأكاديمية الغربية في هذا الشأن, وأما الأهمية التطبيقية فتتمثل في كون البحث يُقدّم أدواتٍ نقديةً يمكن توظيفها في الخطاب الدعوي والتعليمي والإرشادي، فضلا عن إسهامه في تأهيل الباحثين الشرعيين للتعامل مع هذا الملف الديني الحساس بأسلوب علمي متوازن يجمع بين الرصانة الأكاديمية والوضوح العقدي.

المبحث الأول

مفهوم الحركات الروحانية البديلة وتصنيفاتها

المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي والاصطلاحي

يعد مصطلح (الحركات الروحانية البديلة) ترجمة اصطلاحية للمصطلح الإنجليزي (Alternative Spiritual Movements)، الذي شاع في أدبيات علم الأديان والسوسيولوجيا الدينية

الغربية منذ منتصف القرن العشرين, وقد تعددت التسميات التي أُطلقت على هذه الظاهرة في الأدبيات الأكاديمية؛ فمنهم من يسميها (الحركات الدينية الجديدة), ومنهم من يؤثر مصطلح (الروحانية خارج الدين) , ومنهم من يستخدم مصطلح (التدين اللامؤسسي)(حمدان، 2015م، ص 5-10)

وقد عرَف ايضًا بأنها: مجموعة من التيارات الروحية والدينية التي تنشأ خارج الأطر الدينية الكبرى المعترف بها، وتتخذ من التراث الديني العالمي مادةً تنتقي منها ما يتناسب مع منطلقاتها الفلسفية، مع توظيف الخطاب العلماني الحديث أو لغة علم النفس والتنمية البشرية لإضفاء الشرعية على مقولاتها وتسهيل تلقّيها لدى الجمهور المعاصر(عمارة، 2010م، ص 12-15)

ومن أبرز الخصائص المشتركة التي تجمع هذه الحركات على تنوّعها:

1. الاعتقاد بإمكانية الوصول المباشر إلى الحقيقة الروحية دون وساطة دينية مؤسسية.
2. التلفيق والتوفيق بين الأديان والفلسفات المختلفة في منظومة واحدة يسميها أصحابها (الروحانية الشاملة)
3. تغليب التجربة الروحية الذاتية على حساب العقيدة الجماعية الموروثة.
4. استعارة المصطلحات الدينية الإسلامية وإعادة تأطيرها ضمن منظومة مغايرة.
5. الانفتاح على الممارسات الطقسية ذات المنشأ غير الإسلامي كاليوغا والتأمل الماورائي والتواصل مع الطاقة الكونية.(فيرغسون, 2014 ،ص206)

المطلب الثاني: أبرز أنواع الحركات الروحانية البديلة في السياق العربي

يمكن تصنيف الحركات الروحانية البديلة الأكثر حضوراً في المجتمعات العربية المعاصرة ضمن خمسة أنواع رئيسية متداخلة فيما بينها، وإن كانت لكلٍّ منها خصائصها وآليات اشتغالها المميزة:

أ ـ حركة العصر الجديد (New Age Movement)

تمثل حركة العصر الجديد الرافد الغربي الأكثر حضورًا وانتشارًا في الفضاء الرقمي العربي, وتقوم فلسفتها على جملة من الأسس العقدية؛ أبرزها:

- الإيمان بوحدة الوجود الكوني وأن الإنسان جزء من الطاقة الكلية.
- الاعتقاد بقدرة الإنسان على استجلاب الواقع المرغوب عبر ما يسمى (قانون الجذب)
- وإمكانية الوصول إلى الوعي المتعالي عبر التأمل والتصوّر الذهني.

وقد وجدت هذه الحركة طريقها إلى الجمهور العربي بصورة رئيسية عبر كتب التنمية البشرية المترجمة، ولا سيما كتاب (السر لرونده بيرن) الذي بيعت منه ملايين النسخ في الدول العربية, ولعل أخطر ما في هذه الحركة من منظور عقدي إسلامي هو ما يشير إليه من أن قانون الجذب في حقيقته تجسيد للتصور الوثني القائل بأن الكون قوى يمكن السيطرة عليها والتحكم فيها دون الاستعانة بالله، وهو ما يتعارض جوهرياً مع عقيدة التوكل على الله والإيمان بالقضاء والقدر.(الغامدي، 2014م، ص 42-46)

ب ـ الروحانية التوفيقية

الروحانية التوفيقية هي أكثر هذه الأنواع خطراً على الهوية الدينية الإسلامية، إذ تقوم على مبدأ جوهري مفاده أن جميع الأديان تتشارك في حقيقة روحية واحدة، وأن الاختلافات بينها ليست إلا قشوراً شكلية تعكس تنوع البيئات الثقافية لا اختلافاً حقيقياً في الحقيقة الدينية ذاتها, ويسمي أصحاب هذه الروحانية التمسك بدين بعينه تعصباً ضيق الأفق، وينادون بما يسمونه (روحانية ما وراء الأديان) أو (الحكمة الخالدة), وقد وجدت هذه الروحانية التوفيقية تربة خصبة في ثلاثة سياقات عربية بعينها:

- المجتمعات العربية في المهجر الغربي التي تعيش ضغوطاً ثقافية متعددة.
- مجتمعات ما بعد الصراعات التي عاشت حالة من التشكيك في الموروث الديني.
- الشباب الجامعي المنجذب إلى الأفكار الفلسفية الغربية والباحث عن هوية ثقافية توفيقية (إسماعيل،2014, ص27)

ج. الغنوصية المعاصرة

يمثل هذا التيار خطراً من نوع مختلف، إذ يستعير مصطلحات التصوف الإسلامي الأصيل كالفناء والوصول والكشف والمقامات، ليحشوها بمضامين غنوصية وإشراقية بعيدة عن ضوابط علم التصوف الإسلامي الراسخة, وخطورة هذا التيار في كونه يضفي على الانحراف العقدي لبوسًا إسلاميًا مألوفًا

يصعب اكتشافه على غير المتخصص، وهو بذلك أشد خطرًا من الروحانيات الغربية الصريحة التي يسهل التعرف عليها ورفضها.(اليسـوعي،2001,ص11)

د ـ روحانية الطاقة والشفاء البديل

هذه الفئة هي الأسرع انتشارًا في الفضاء الرقمي العربي خلال السنوات الأخيرة، وتشمل طيفًا واسعًا من الممارسات (كالريكي والتشافي بالطاقة وقراءة الأورا والترددات الصوتية الشافية) وغيرها, وتقوم هذه الروحانية على افتراض أن جسم الإنسان وعقله يستطيعان الاتصال بطاقات كونية غير مرئية لاستجلاب الصحة والسعادة، وهو افتراض يستند إلى خلطة غير متجانسة من الطب الهندي القديم والفلسفة الصينية التقليدية ومفاهيم فيزياء الكم المبسطة .(توفيق،2006م,ص42)

هـ ـ الأبراج والروحانية التنجيمية

تظل الروحانية التنجيمية بكل تجلياتها من أبراج وقراءة الأرواح والطالع الغيبي الأكثر انتشاراً في المجتمعات العربية على الإطلاق، وإن كانت جذورها أقدم بكثير من سائر الحركات المستعرضة, وقد وجد هذا التيار في منصات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهواتف الذكية نافذًة جديدة غير مسبوقة أتاحت له الوصول إلى شرائح واسعة من الشباب العربي تحت مسميات حديثة (كعلم النفس التنجيمي وفهم الشخصية عبر الأبراج) (هربرت , 2014م,ص84)

المطلب الثالث: الجذور التاريخية والفكرية لهذه الحركات

لا تنشأ الحركات الروحانية البديلة في فراغ تاريخي؛ فهي تمتد بجذورها إلى تراث فكري متشابك يعود إلى حقب سابقة, ويمكن تحديد ثلاثة روافد فكرية رئيسية لهذه الحركات:

- الفلسفة الغنوصية القديمة التي ظهرت في البيئة الهلينستية، والتي تقوم على فكرة أن الخلاص يتحقق بالمعرفة الباطنية لا بالامتثال للشريعة.
- الرومانسية الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي أعلت من شأن التجربة الروحية الفردية في مواجهة المؤسسة الدينية الرسمية.
- حركة ما وراء الطبيعة الأمريكية (American Transcendentalism) التي مهّدت لنشوء حركات العصر الجديد في القرن العشرين(الرشيد،2014, ص37)

ويرى المفكر الإسلامي محمد قطب أن التقاطع بين هذه الجذور الفكرية ومواطن الضعف في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر هو الذي خلق الفضاء الملائم لانتشار هذه الحركات في المجتمعات العربية، مشيراً إلى أن الباحث عن زاد روحي حقيقي حين لا يجده في صورته الصحيحة يتعثّر في متاهات الروحانيات الوافدة .(قطب، 2000م، ص 120)

المبحث الثاني :عوامل انتشار الحركات الروحانية البديلة في المجتمعات العربية

المطلب الأول: العوامل الاجتماعية والثقافية

يجمع الباحثون في علم الاجتماع الديني على أن الحركات الدينية البديلة لا تنتشر في المجتمعات بصورة عشوائية، وانما تستجيب لحاجات اجتماعية وثقافية موضوعية لم تجد لها إجابة في الأطر الدينية السائدة, وهناك جملة من العوامل الاجتماعية التي تهيئ البيئة الخصبة لانتشار هذه الحركات، في مقدّمتها:

- انهيار الروابط الأسرية التقليدية
- ضعف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الدينية.
- التحضر المتسارع الذي أفرز حالة من الاغتراب الاجتماعي لدى شرائح واسعة من السكان

ويضاف إلى ذلك ما يسميه عالم الاجتماع الفرنسي أوليفييه روا بأزمة (إعادة الإنتاج الديني)، أي عجز المؤسسات الدينية التقليدية عن نقل الموروث الديني بصورة فاعلة إلى الأجيال الجديدة, ويلاحظ روا أن هذه الأزمة تفرز جيلاً يمتلك انتماءً دينيًا عاطفيًا دون امتلاك مضمونه العقدي والفقهي، مما يجعله مرشحًا للانجذاب نحو الروحانيات البديلة التي تقدم نفسها بلغة عاطفية مبسطة(كردي,2014م, ص63)

المطلب الثاني: العوامل النفسية والوجودية

على المستوى النفسي تظهر أزمة المعنى بوصفها المحرك الأعمق لانجذاب الأفراد نحو الحركات الروحانية البديلة, وقد درس عالم النفس النمساوي فيكتور فرانكل هذه الظاهرة وأطلق عليها مصطلح (الفراغ الوجودي)، مشيرًا إلى أن الإنسان المعاصر الذي فقد المرساة الروحية لوجوده يصبح عرضة لما أسماه (عُصاب العصر الجديد)، وهو حالة من القلق الوجودي التي يبحث فيها الفرد بيأس عن معنى يملأ به فراغه الداخلي, وفي السياق العربي تحديدًا يضاف إلى هذا العامل ما يسمى (بصدمة الحداثة) التي تعرف بأنها حالة الصراع النفسي الداخلي الذي يعيشه المثقف العربي الذي يتجاذبه قطبان موروث ديني وثقافي عريق، وإغراء الحداثة الغربية بقيمها وأنماط حياتها, وتقدم الحركات الروحانية البديلة نفسها أحيانًا بوصفها الجسر الذي يوفق بين القطبين، متيحة للفرد أن يحافظ على روحانيته دون الالتزام بتكاليف الشريعة وضوابطها(الظهار,2004م,ص29)

المطلب الثالث: دور الفضاء الرقمي في تسريع الانتشار

أحدثت الثورة الرقمية تحولًا جذريًا في طريقة انتشار الأفكار الدينية وتلقيها، إذ بات في مقدور أي حركة روحانية أن تصل إلى ملايين المستخدمين العرب عبر محتوى مغلّف بأساليب التنمية البشرية والإلهام الشخصي, وقد رصدت دراسة صادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات أن ما يزيد على 40% من الشباب العربي يتلقى محتواه الديني عبر منصات التواصل الاجتماعي، في مقابل تراجع ملحوظ في حضور المسجد والمؤسسة الدينية الرسمية .(المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2022م، ص 140-145)

كما ان هناك ثلاث آليات رئيسية توظفها الحركات الروحانية البديلة في الفضاء الرقمي العربي:

- الاستثمار في خطاب الصحة النفسية الذي يجذب شرائح واسعة من الشباب.
- تقديم الممارسات الروحية بوصفها وصفات علمية موثقة لا معتقدات دينية.
- بناء مجتمعات افتراضية تمنح أعضاءها شعورًا بالانتماء والقبول.(عبد الرازق،2020م, ص82)

وقد أفرز هذا الواقع الرقمي ظاهرة جديرة بالدراسة يصفها الباحث عبد الرازق بالتدين الانتقائي الرقمي، إذ يصبح الفرد في البيئة الرقمية قادرا على تصميم منظومته الروحية الخاصة عبر انتقاء ما يروق له من كل حركة ودين وفلسفة، وهو ما ينتج هوية دينية مهشمة لا تنتمي حقا لأي منظومة دينية متكاملة (أوساوا,2003م, ص52)

المبحث الثالث :إشكالية الهوية الدينية في مواجهة الحركات الروحانية البديلة

المطلب الأول: مفهوم الهوية الدينية في الإسلام وأبعادها

الهوية الدينية في الإسلام ليست مجرد انتماء طقسي أو ثقافي موروث، انما هي منظومة متكاملة من الاعتقادات والقيم والممارسات والولاءات التي تحدد علاقة الإنسان بالله والكون والآخرين, ويميز الإمام الشاطبي في (الموافقات) بين مستويين للهوية الدينية:

- المستوى الأصلي المتمثل في التزام الثوابت العقدية الكبرى.
- المستوى التبعي المتمثل في الممارسات والعادات الدينية القابلة للتنوع والاختلاف.(الوائلي ,2017, ص64)

ويحدد علماء العقيدة المعاصرون ثلاثة مكونات جوهرية للهوية الدينية الإسلامية:

- المكون العقدي المتمثل في الإيمان بأركانه الستة المعروفة، وهو المكون الذي لا يقبل التنازل أو التأويل المخل.
- المكون الشعائري المتمثل في الالتزام بالعبادات المفروضة وما يتصل بها من ضوابط.
- المكون الأخلاقي والقيمي المتمثل في المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي تضبط سلوك الفرد في علاقته بالله وبالناس.

وما تفعله الحركات الروحانية البديلة في جوهرها هو استهداف المكون الأول بصورة رئيسية، إذ تسعى إلى إعادة تعريف مفهوم الإله والعبادة والعلاقة مع المقدس بصورة تذيب الحدود الفاصلة بين الإسلام وغيره، وتحول الانتماء الديني من مسألة عقدية إلى مسألة ذوقية تجريبية بحتة.(مجموعة مؤلفين, 2015,ص28)

المطلب الثاني: آليات التأثير في الهوية الدينية

تعمل الحركات الروحانية البديلة على تفتيت الهوية الدينية الإسلامية عبر جملة من الآليات المتشابكة والمتكاملة:

- آلية (إعادة التأطير المعرفي)، التي تعيد تفسير المفاهيم الإسلامية كالتوحيد والتوكل والتأمل والزهد بأطر معرفية ذات منشأ غير إسلامي، بحيث يجد المتلقي أن المصطلحات مألوفة له في حين أن المضامين قد استبدلت كليًا .
- آلية (التدرج في الاستقطاب) التي تبدأ بإستجذاب المتلقي من بوابات مقبولة ومشروعة في الأصل كالاهتمام بالصحة النفسية وتطوير الذات والبحث عن السكينة، ثم تنتقل به تدريجيًا نحو مناطق عقدية أعمق قد لا يدرك أنه اجتاز فيها حدوداً عقدية مهمة, وقد وثق بعض الباحثين هذه الآلية (اليوغا الروحية) العربية، مشيرًا إلى أن غالبية المنتسبين لا يدركون في المرحلة الأولى الأبعاد العقدية لما يمارسونه.
- آلية (تنسيب الذات) التي تتيح للفرد أن يعرف نفسه بوصفه مسلمًا روحانيًا أو باحثا روحيًا دون الالتزام بمعايير الهوية الدينية الإسلامية التقليدية, وهذه الهوية الهجينة تمنح الفرد شعورًا بالانتماء المزدوج يريحه من حدة التناقض الداخلي، لكنها في الوقت ذاته تشكل خطوة نحو التخلي التدريجي عن الهوية الدينية الأصيلة
- آلية (إضعاف المرجعية الدينية) التي تسعى إلى تشكيك الفرد في مصداقية المؤسسة الدينية الرسمية وعلمائها، وتقدم المرشد الروحي أو المدرب الشخصي بديلاً عن العالم الشرعي, وهذا التحوّل في مرجعية الفرد الدينية يفضي في كثير من الأحيان إلى عجزه عن تمييز الصحيح من المنحرف في المسائل العقدية .(كريسون, 1982, ص204)

المطلب الثالث: حالات توثيقية من الواقع العربي

رصدت عدة دراسات ميدانية حالات موثقة لأثر هذه الحركات في الهوية الدينية لعينات من المجتمعات العربية, ففي دراسة أجرتها جامعة القاهرة على عينة من طلاب الجامعة وجد الباحثون أن نحو 23% من أفراد العينة يمارسون أشكالًا متنوعة من التأمل أو الطاقة أو الروحانيات البديلة، وأن ما يزيد على ثلثيهم لا يرون في ذلك تعارضا مع هويتهم الإسلامية، مما يعكس مدى نجاح آلية إعادة التأطير المعرفي في إخفاء أبعاد التعارض العقدي, اما في السياق العراقي تحديداً رصد عدد من الباحثين انتشاراً لافتاً لظاهرة (القراءة الروحية وعلاج الطاقة) في المدن الكبرى خلال مرحلة ما بعد عام 2003م، ويعزى ذلك إلى جملة من الأسباب؛ أبرزها:

- حالة عدم الاستقرار الاجتماعي وضعف المؤسسة الدينية الرسمية وانتشار الفضاء الرقمي غير المنظم.
- الأزمات الاجتماعية الكبرى التي تشكل البيئة الخصبة بصورة استثنائية لإنتشار هذه الحركات (دانش, 2010م, ص52)

المبحث الرابع :الموقف النقدي الإسلامي من الحركات الروحانية البديلة

المطلب الأول: الأطر النقدية في التراث الإسلامي

يمتلك التراث الإسلامي رصيدًا ضخمًا من الأدوات النقدية التي طورها العلماء عبر القرون في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة على الفكر الإسلامي، ابتداءً من مواجهة الغنوصية الأولى مرورًا بالفلسفة اليونانية , وقد تركزت هذه الأدوات في ثلاثة محاور رئيسية:

- محور النقد العقدي الذي يختبر المنظومة الفكرية الوافدة بمعيار التوحيد والنبوة.
- محور النقد المنهجي الذي يفحص مصادر المعرفة التي تعتمدها تلك المنظومة.
- محور النقد الغائي الذي يقوّم مآلات هذه المنظومة على الفرد والمجتمع.

ولعل أبرز نماذج هذا النقد في تراثنا الإسلامي ما قدمه شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته الكثيرة، ولا سيما في (درء تعارض العقل والنقل) و(الفرقان بين الحق والباطل)، حيث أرسى منهجًا نقديًا دقيقًا في التعامل مع التيارات الفكرية الدخيلة على الإسلام, وما يلاحظه الدارس لمنهج ابن تيمية النقدي أنه لا

يكتفي بالرد والإبطال، بل يسعى دائمًا إلى استخلاص الحق الجزئي الذي قد يكون في قلب الباطل الكلي، مقدمًا البديل الإسلامي الصحيح في كل مسألة (ابن تيمية, ١٩٩١ م 269/3)

المطلب الثاني: المعايير العقدية للحكم على الحركات الروحانية البديلة

يمكن استخلاص منظومة من المعايير العقدية الإسلامية الكفيلة بتقييم أي حركة روحانية بديلة وتحديد درجة انحرافها العقدي، وهذه المعايير هي:

- معيار التوحيد: وهو المعيار الأول والأصل، ويطبق بفحص موقف الحركة من طبيعة الألوهية, هل تقر بوجود إله واحد متميز عن خلقه؟ أم أنها تقوم على فكرة وحدة الوجود أو الحلول أو الطاقة الكونية؟ وبهذا المعيار تخفق أغلب الحركات الروحانية البديلة إخفاقًا جوهريًا، إذ معظمها يقوم على نوع من (الربوبية الكونية أو وحدة الوجود الفلسفية)
- معيار النبوة: وهو اختبار موقف الحركة من خاتمية الرسالة المحمدية؛ هل تعترف بأن الوحي الإلهي قد اكتمل بالقرآن الكريم، أم أنها تقول بإمكانية التلقي الروحي المستمر عبر الكشف أو الإلهام أو قراءة الطاقة؟
- معيار المصدرية: وهو فحص المصادر التي تستمد منها الحركة معارفها ومشروعيتها؛ هل تستند إلى الكتاب والسنة؟ أم إلى الخبرة الذاتية والكشف الشخصي والتراث الديني الإنساني العام دون تمييز بين صحيح وباطل؟
- معيار الغاية والمآل: وهو تقييم الأثر الذي تحدثه الحركة في علاقة الفرد بالله وبالشريعة وبالجماعة المسلمة؛ هل تعزز انتماءه الإسلامي؟ أم تذيبه في هوية روحية مجهولة الانتساب؟

وبتطبيق هذه المعايير الأربعة على الحركات الروحانية البديلة الأكثر انتشاراً في العالم العربي يتبين أنها جميعها تخفق في اجتياز الاختبار في معيار أو أكثر من هذه المعايير، وإن تفاوتت درجات انحرافها بين ما هو انحراف كلي يصل إلى درجة الشرك الاعتقادي الصريح، وبين ما هو انحراف جزئي يظل في دائرة البدعة أو الفسق العقدي.(الرشيد،2014,ص60)

المطلب الثالث: التمييز بين النقد العلمي والرفض الانغلاقي

تُلّح الباحثة على ضرورة التمييز بين موقفين متطرفين في التعامل مع هذه الحركات:

- موقف الرفض الانغلاقي الذي يرفض كل جديد دون دراسة أو تمحيص.
- موقف القبول الإنبهاري الذي يدخل كل وافد بذريعة الانفتاح والتجديد.

والموقف العلمي الصحيح هو ما أرساه العلماء الراسخون من أن الحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق، وأن معيار القبول والرد هو الدليل الشرعي لا العادة ولا الاستحسان ولا الانتشار

المطلب الرابع: مقترحات للتعامل مع الظاهرة

انطلاقاً من النتائج التحليلية السابقة تقدم الباحثة جملة من المقترحات العملية للتعامل مع ظاهرة الحركات الروحانية البديلة على ثلاثة مستويات:

أ ـ على المستوى المعرفي والأكاديمي:

إن أول ما يحتاج إليه التعامل الرصين مع هذه الظاهرة هو إنتاج معرفة أكاديمية متخصصة ودقيقة بها؛ وهذا يستلزم تطوير تخصص (الحركات الدينية الجديدة) في أقسام الأديان بالجامعات الإسلامية، وإدراجه ضمن مناهج الدراسات العليا في العلوم الإسلامية, كما يستلزم ترجمة المصادر الأكاديمية الغربية المتخصصة في هذا الشأن وتقييمها نقديًا، لتكون مرجعًا للباحثين الشرعيين في فهم هذه الحركات على حقيقتها قبل نقدها.

ب ـ على المستوى الدعوي والتعليمي

لعل أنجع ما يواجه به الخطاب الديني هذه الحركات هو تجديد الخطاب الروحي الإسلامي الأصيل وتقديمه بصورة تجيب عن الأسئلة الوجودية التي يبحث عنها الإنسان المعاصر داخل الأطر الشرعية الصحيحة, فإحياء منهج التزكية الإسلامية القائم على الكتاب والسنة، وتقديم علوم الروح الإسلامية كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، هو الكفيل بسد الفراغ الروحي الذي تنفذ منه هذه الحركات.

ج ـ على المستوى الرقمي والإعلامي

نظراً لأن الفضاء الرقمي هو الحاضنة الرئيسية لانتشار هذه الحركات في المجتمعات العربية، فإن مواجهتها تستلزم حضورًا رقميًا فاعلًا للخطاب الديني العلمي الرصين, وهذا يعني دعم المبادرات الرقمية الدينية الموثوقة وتأهيل الدعاة والمرشدين الدينيين على أدوات التواصل الرقمي، مع إيلاء اهتمام خاص لتقديم البديل الروحي الإسلامي الصحيح بأسلوب يلبي احتياجات الجمهور الرقمي من حيث الشكل والأسلوب دون المساس بالمضمون العقدي الصحيح.

الخاتمة:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

تقف الباحثة في نهاية هذه الرحلة العلمية أمام مشهد دقيق من التشابك بين الروح الإنسانية الباحثة عن معناها وأسئلة الوجود التي لا تسكت، وبين تيارات فكرية تقدم نفسها أجوبةً لتلك الأسئلة, ولعل أعمق ما خرج به البحث إدراكاً هو أن هذه الحركات الروحانية البديلة لم تنتشر في فراغ، وانما نبتت في أرض تركها الخطاب الديني شبه قاحلة: أرض الروح الإنسانية المتعطشة إلى الله حين لا تجد من يُرويها بالزاد الصافي, والحقيقة التي يقرها هذا البحث بوضوح هي أن الإسلام لم يَعجز يوماً عن الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى، فهو الدين الذي أنزل الله فيه **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**، ووصف نبيه محمد ﷺ العلاقة بين العبد وربه بأبلغ ما يصف القرب والأنس والرحمة, بيد أن المشكلة تكمن في الجسر الذي يصل بين هذا الإرث الروحي الثري وبين الإنسان العربي المعاصر الذي يجد أحياناً أن هذا الجسر ضيّق أو بعيد أو يكاد يكون مجهولاً.

ومن هنا ترى الباحثة أن المعركة الحقيقية لا تخاض في ميدان الجدل العقدي وحده، وإن كان ذلك ضرورياً لا غنى عنه، وانما تُخاض في ميدان أعمق وأصعب: ميدان استعادة الروح الإسلامية في أبهى صورها وأصدق تجلياتها, ذلك أن الإنسان حين يعيش الإسلام تجربة روحية حيّة ومُشبعة لا يبحث عن بديل، وحين يغيب ذلك يجد نفسه يجوب الصحراء باحثا عن واحة قد تكون سرابا.

وفي المحصلة، كل ما رصده هذا البحث من انتشار هذه الحركات وتمدّدها في الوجدان العربي هو في جوهره رسالة موجهة إلى المشتغلين بالعلم الشرعي والدعوة والتربية، مفادها: أن ثمة حاجة روحية حقيقية لم تسد بعد، وأن هذه الحاجة إن لم يسدّها أهل الحق سدّها غيرهم, وهذا ليس تهوينا من خطر هذه الحركات، بل هو التشخيص الأدق الذي يتيح العلاج الأنجع.

وتختم الباحثة بالإشارة إلى أن هذا البحث لا يعدو كونه لبنة في صرح معرفي لا يزال في طور البناء، وأن ثمة أسئلة كثيرة لا تزال تنتظر من يتصدى لها بالدراسة والبحث: كيف تؤثر هذه الحركات في منظومة القيم الأسرية؟ وما حجم الانتشار الحقيقي لها في كل بيئة عربية؟ وكيف يمكن لمؤسسات التعليم الديني أن تعيد صياغة نفسها استجابة لهذا التحدي؟ وكلها أسئلة يأمل الباحث أن تجد من يجيب عنها بالعمق والرصانة اللذين يستحقانهما.

وتوصلت الباحثة إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

النتائج

1. الحركات الروحانية البديلة ظاهرة عالمية متجذرة في التراث الفكري الغنوصي والفلسفي الغربي، وجدت في المجتمعات العربية المعاصرة تربة خصبة بفعل جملة متضافرة من العوامل الاجتماعية والنفسية والرقمية.
2. تشكل هذه الحركات تهديدًا حقيقيًا على الهوية الدينية الإسلامية لا لأنها تهاجم الإسلام مباشرًة، بل لأنها تعمل على استيعابه وإذابته في منظومة روحية تلفيقية تضعف الانتماء العقدي الأصيل.

3. الفراغ الروحي وضعف التنشئة الدينية وقصور الخطاب الديني المؤسسي عن الإجابة عن الأسئلة الوجودية للإنسان المعاصر هي الأسباب الجذرية لانتشار هذه الحركات بين المسلمين.
4. الفضاء الرقمي وفر لهذه الحركات منصة غير مسبوقة للانتشار وبناء الجماعات، وأتاح ظهور ما يمكن تسميته التدين الانتقائي الرقمي، وهو خطر جديد يستحق الدراسة المتخصصة.
5. المنظومة العقدية الإسلامية تمتلك أدوات نقدية وافية لمواجهة هذه الحركات، متمثلة في معايير التوحيد والنبوة والمصدرية والغاية، وهذه المعايير كفيلة بتشخيص الانحراف في أي حركة روحانية إذا ما أُحسن توظيفها.
6. مواجهة هذه الظاهرة لا تستقيم بالرفض الانغلاقي، وانما تستلزم مقاربة علمية شاملة تجمع بين النقد العلمي الرصين وتقديم البديل الروحي الإسلامي الصحيح بأسلوب يستجيب لاحتياجات الإنسان المعاصر.

والله أسألُ أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والعاملين في ميدان الدعوة والإرشاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

References

1. ابن تيمية, تقي الدين(١٩٩١ م). درء تعارض العقل والنقل, تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم,ط2, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
2. ابن تيمية، تقي الدين (1429هـ) .الفرقان بين الحق والباطل. تحقيق: علي بن محمد العمران, ط1،دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
3. إسماعيل، آزاد (2014). التدين والصحة النفسية, ط1. المعهد العالمي للفكر الاسلامي , الولايات المتحدة.
4. الظهار, نجاح (2004م), الوثنية في ثوبها الجديد, ط1,دار المحمدي.
5. أوساوا, جورج(2003م), دعوة إلى الصحة والسعادة, ط1, دار الخيال, لبنان.
6. توفيق، أحمد(2006م), الشفاء بالطاقة الحيوية، ط2, دار الأهلية, الأردن.
7. حمدان، سامي. (2015م) .الحركات الدينية الجديدة: دراسة في علم الأديان المعاصر, ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
8. دانش,حسين(2010م), سيكولوجيا الروحانية من نفس منقسمة الى نفس متكاملة طبيعة الروح والشعور والوعي, ترجمة: نبيل مصطفى , ط1, مكتبة مدبولي , القاهرة .
9. الرشيد، هيفاء(2014). حركة العصر الجديد , ط1,مركز التأصيل للدراسات والبحوث.
10. عبد الرازق، أحمد(2020م).الروحانية البديلة في الفضاء الرقمي العربي, ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
11. الغامدي، أحمد (2014م) .الحركات الروحية الوافدة وأثرها في الشباب المسلم, مجلة البيان، الرياض، العدد 312.
12. فيرغسون، جون (2014) .الموسوعة الصوفية والديانات السرية , ترجمة: محمد الجورا، ط1,دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
13. قطب، محمد. (2000م) .دراسات في النفس الإنسانية, ط9،دار الشروق، القاهرة.
14. كردي, فوز(٢٠١٤), المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة, ط1,مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

15. كريسون, أندريه (١٩٨٢), تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث, ترجمة: نهاد رضا, ط2 , منشورات بحر المتوسط , بيروت.
16. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات(2022م),مؤشر الرأي العربي 2022: الدين والهوية في المجتمعات العربية الدوحة.
17. هايس, هربرت (٢٠١٤), قانون كوني للنجاح ترجمة:مكتبة جرير ،ط1 مكتبة جرير.
18. اليسوعي، روبير(2001), والروحانيات الجديدة: (القمص، شهود يهوه، الماسونية, النيو إيج ، اليوغا).ط1, دار المشرق, بيروت .

1. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din (1991 CE). Refuting the Conflict Between Reason and Revelation, edited by Dr. Muhammad Rashad Salim, 2nd ed., Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia.
2. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din (1429 AH). The Criterion Between Truth and Falsehood, edited by Ali ibn Muhammad al-Umran, 1st ed., Dar Alam al-Fawa'id, Mecca.
3. Ismail, Azad (2014). Religiousness and Mental Health, 1st ed., International Institute of Islamic Thought, United States.
4. Al-Zahar, Najah (2004 CE). Idolatry in its New Guise, 1st ed., Dar al-Muhammadi.
5. Osawa, George (2003 CE). A Call to Health and Happiness, 1st ed., Dar al-Khayal, Lebanon. Tawfiq, Ahmad (2006). Healing with Bioenergy, 2nd ed., Dar Al-Ahliya, Jordan.
6. Hamdan, Sami (2015). New Religious Movements: A Study in Contemporary Religion, 1st ed., Arab Cultural Center, Beirut.
7. Danish, Hussein (2010). The Psychology of Spirituality: From a Divided Soul to an Integrated Soul: The Nature of the Spirit, Feeling, and Consciousness, translated by Nabil Mustafa, 1st ed., Madbouli Library, Cairo.
8. Al-Rashid, Haifa (2014). The New Age Movement, 1st ed., Center for Foundational Studies and Research.
9. Abdul-Raziq, Ahmad (2020). Alternative Spirituality in the Arab Digital Space, 1st ed., Arab Center for Research and Policy Studies, Doha. Al-Ghamdi, Ahmed (2014). Imported Spiritual Movements and Their Impact on Muslim Youth, Al-Bayan Magazine, Riyadh, Issue 312.
10. Ferguson, John (2014). The Sufi Encyclopedia and Secret Religions, translated by Muhammad Al-Jawra, 1st ed., Dar Al-Farqad for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.
11. Qutb, Muhammad (2000). Studies in the Human Psyche, 9th ed., Dar Al-Shorouk, Cairo.
12. Kurdi, Fawz (2014). Atheistic Spiritual Philosophical Schools and Their Contemporary Applications, 1st ed., Center for Foundational Studies and Research. Cresson, André (1982), Currents of Philosophical Thought from the Middle Ages to the Modern Era, translated by Nihad Reda, 2nd edition, Mediterranean Publications, Beirut.
13. Arab Center for Research and Policy Studies (2022), Arab Opinion Index 2022: Religion and Identity in Arab Societies, Doha.

14. Hayes, Herbert (2014), Universal Law of Success, translated by Jarir Bookstore, 1st edition. The Jesuit, Robert (2001), and New Spiritualities: (Priests, Jehovah's Witnesses, Freemasonry, New Age, Yoga). 1st ed., Dar Al-Mashreq, Beirut.
15. Cresson, André (1982), Currents of Philosophical Thought from the Middle Ages to the Modern Era, translated by Nihad Reda, 2nd edition, Mediterranean Publications, Beirut.
16. Arab Center for Research and Policy Studies (2022), Arab Opinion Index 2022: Religion and Identity in Arab Societies, Doha.
17. Hayes, Herbert (2014), Universal Law of Success, translated by Jarir Bookstore, 1st edition. 18. The Jesuit, Robert (2001), and New Spiritualities: (Priests, Jehovah's Witnesses, Freemasonry, New Age, Yoga). 1st ed., Dar Al-Mashreq, Beirut.
18. The Jesuit, Robert (2001), and New Spiritualities: (Priests, Jehovah's Witnesses, Freemasonry, New Age, Yoga). 1st ed., Dar Al-Mashreq, Beirut.